

المعطيات النفسية للتوقيت



◀ الالتزام:

الالتزام بمعنى الجدية والانتظام في السلوك يكاد يكون غريزة في ضمير الإنسان كما هو غريزة في ضمير هذا الكون المنظم.

إنّ من الطبيعي للإنسان حينما ينظر إلى ما حوله فيرى كلّ شيء ملتزماً، أن ينزع إلى الالتزام.

السماء بأجرامها ملتزمة بحركة منتظمة، والمياه بجريانها وتبخرها وعودتها ملتزمة بنظام، والحيوان ملتزم بأنظمته التكوينية والغرائزية، بل الذرة الواحدة من الوجود ملتزمة في حركات أجزائها ونواتها بنظام حادة في أداء مهمتها. والإنسان نفسه ملتزم في تكوينه الجسدي بأدق الأنظمة وأكملها.. فلم لا يكون ملتزماً في سلوكه بنظام، جاداً إلى هدف، ملتئماً مع مسيرة الطبيعة السعيدة المنتظمة.

إنّ نفس الإنسان لا تطمئن إلى السلوك الفوضوي العابث ولا تستقر إلا بالانتظام مع موكب الوجود متحركة فيما خلقت له وهديت إليه..

أما ثورة الجيل الجديد على كلّ التزام وانتظام فهي ليست في عقيدتي خروجاً على (مبدأ) الالتزام. وإنما هي ثورة في البحث عن الالتزام نافع بدل ألوان الالتزام القائمة في العالم.

إنّ السبب الحقيقي في تيار الفوضى والعبث الوجودي والهيبي الذي يحتاج العالم هو شعور هؤلاء (الثوار) بأنّ التزام الناس بشكل الحياة المعاش هو التزام فارغ.. فلماذا يقييد الإنسان نفسه بقوانين؟ ولماذا ينظم في عمل يومي مضن؟ ولماذا؟.. ولماذا؟ أليس كلّ ذلك من أجل أن يعيش الإنسان سعيداً هائلاً، فلماذا لا يعيش سعيداً هائلاً على الأعشاص تحت الشمس ومع الجنس زرافات ووحداناً؟.. من يقول إنّ شكل الحياة القائم المعقد الباهظ هو أكثر هناءة من شكلها الحر الطليق؟ هذا هو لم منطق هؤلاء (الثوار) سواء استطاعوا أن يعبروا عنه بهذا الوضوح أو عجزوا.

إنّ هؤلاء الخواج على الالتزامات غير المجدية في نظرهم ما هم إلا باحثين عن (الالتزام) طبيعي

مبسٌّ طِّ مجدٍ، وليس فرقهم عن غيرهم من الباحثين إلا أنّهم رفضوا اللون الخاطئ من الالتزام وسرعوا في لون من السلوك قبل أن يعثروا على الالتزام الصحيح...

ولابدّ أن تنتهي هذه الموجات الباحثة إلى التجاوب مع الطبيعة فتتبني ألوانًا من الالتزامات الميسرة وغير الميسرة تبعًا للظروف التي تحيط بها والفلسفات التي تنموا في أوساطها.

مهما يكن من أمر فإنّ الالتزام والانتظام في السلوك هو نداء الفطرة في عمق الإنسان ونداء الحياة من حوله.. ولذلك لم ي التشريع الإسلامي هذا النداء ووضع للإنسان صيغة الالتزام اليومي محددة بفرائض يؤدّيها آناء نهاره وأطراف ليله.. الأمر الذي يعطي النفس البشرية استقراراً بانطباطها في مسيرتها انطباطاً يومياً، كما يعطيها انتظاماً مع ما حولها من الوجود انتظاماً واعياً متفتحاً متبايناً مع هدفها الكبير، بعيداً عن انضباط التقاليد الممدوّل، وعن انضباط (الحضارة) المجهود.. المعقد..

الاطمئنان:

من أصبح ما وصفت به الحضارة القائمة أرّها: حضارة الرعب، فقد أبى هذه الحضارة مع كلّ منجزاتها المادية للناس إلا أن تنقل إلى نفوسهم مخاوف الحضارة اليونانية بأساطير شعبها وهرطقة فلاسفتها وفرية عداء الطبيعة للإنسان.. حتى لقد أصبح القلق النفسي مشكلة عالمية تبعث على الأسى حقّاً.

خذ إنساناً من حضارة القرن العشرين (وذلك القرن الواحد والعشرين) وابحث عن لؤلؤة الاطمئنان في محارته فإنك غير واحدها.. إنك واحد نسخة شبيهة بـإنسان حضارة الرومان واليونان الذي تتقاذفه الآلهة المجنونة من كلّ صوب وبأخذ بتلابيبه شبح القدر الأرعن، وأجد إنساناً يعيش العداء مع كلّ شيء فهو في عباب صاخب وفي غالب دائم.. الناس في إحساسه أعداء ما كرون، والمستقبل في فهمه رعب مجهول لا يكشف عن نفسه ولا يبين، والموت فم فاغر لا يدرى متى يطبق، والطبيعة عدو لدود بحرها وبردها وجميع طواهرها ..!

لقد أصبح أمل الإنسان في أن يسكن الكواكب البعيدة أملًا قريباً ولكن أمله في أن تطمئن نفسه بين جنبيه لازال أملًا بعيداً وغير معقول!

والنفس البشرية إن هي فقدت اطمئنانها إلى الوجود فليس إلا الأعراض المخيفة تنتاب الشخصية البشرية وتهدد كيانها من عمقه كما أصبح الحال في المجتمع الحاضر.. فهل في الحياة ما يحل هذه المشكلة ويمنح هذه النفس القلقة قدرًا من الطمأنينة؟

إنّه لا أقدر من الإسلام على إهداء اللؤلؤة المفقودة إلى الأنفس القلقة. يقوم الإسلام أو لا يتطمئن الناس نظرياً فيقدم لهم مفهومه السعيد الفريد عن الوجود وعن موقعهم المطمئن فيه، وليس هذا مجال استعراض مدى الطمأنينة والموضوعية في مفهوم الإسلام هذا.

ثمّ يضع لهم فرضية الصلاة التي تجعل من الاطمئنان حقيقة يتعاملون معها في سلوكهم بعد أن استوعبواها في عقيدتهم..

ماذا أبلغ في تطمين النفس البشرية من أن تأوي في فترات نهارها إلى ملك الوجود عزّ وجلّ تتفياً رعايتها وحناها وهذا و تستمد منه العون لحاضر أمرها و مقبله.

وللتوقيت الحكيم الذي اختاره الله سبحانه لفرضية الصلاة ارتباط واضح بدفعات الطمأنينة التي تحتاجها النفس كلّ يوم.. فما أن يرخي الليل أسد الله على الأرض حتى يرتفع الأذان وتمتد يد الصلاة لتُطمئن الإنسان فتنصعه بين يدي ربّه وآماله مسلمة إيمانًا إلى سكون مقصود..

وينهض الإنسان ليوم جديد فتوافيه الصلاة مبكرة تبارك له آماله وتبشره.. ويستغرق في العمل وملابسات الحياة فتعود اليد الرفيقة لتنتشله من حرصه ومخاوفه وتعيد إليه طمأنينته دافعة به إلى

ارتياح من تعب النفس وتعب الجسم.

توقيت حكيم كتبه ١٠ على الإنسان كي يجدد لنفسه إيمانها واطمئنانها كلما قطعت مرحلة من النهار، من أجل أن تبقى مفعمة بالهدایة والسعادة، سائرة برعایة ربّها وهداه تجني لوجودها خير الحاضر المطمئن وفوز المستقبل المأمول..

► (إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا) (النساء / 103).

المصدر: كتاب فلسفة الصلاة